آيات و قصة

يونس عليه السلام في بطن الحوت

أطفالنا في رحاب القرآن الكريم

٨٩

رزق هيبة



أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

(٨٩)

يونس عليه السلام في بطن الحوت

تأليف
رزق هيبه

رسوم
صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ
مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ

مَعَانِى المفْرَدَات:

١- **وَذَا النُّون**: اذْكُـرْ ذَا النُّونِ، وَذُو النُّونِ لَقَبٌ لِيُـونُسَ- عَلَيْهِ السَّـلامُ- لأَنَّ النُّونَ ابْتَلَعَـهُ، وَالنُّونُ هُوَ الحُوتُ - سَمَكَةٌ كَـبِيرَةٌ تَعِيشُ فِى الْبَحْرِ، وَمِنْ أَلْقَـابِ يُونُسَ -عَلَيْهِ السَّلامُ- أَيْضًا أَنَّهُ صَاحِبُ الحُوتِ.

٢- **مُغَاضِبًا**: غَضْبَانَ مِنْ أَجْلِ حَقِّ رَبِّهِ عَلَى عِبَادِهِ. إِذْ دَعَا قَـوْمَهُ إِلَى اللَّهِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، وَالْمُؤْمِنُ الحُقُّ يَغْضَبُ لِلَّهِ إِذَا عُصِىَ.

٣- **فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْـدرَ عَلَيْه**: كَلِمَةُ «نَقْـدرَ» هُنَا بِمَعْنَى نُضَـيِّقُ، مِثْلُ قَـوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ...** ﴿٢٦﴾﴾ [**الرعد**] بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يُوَسِّعُ لِمَنْ يَشَاءُ فِى الرِّزْقِ أَوْ يُضَيِّقُ عَلَيْه، فَهُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ المتِينُ.

٤- **الظُّلُمَاتُ**: ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ بَطْنِ الحُوتِ.

٥- **سُبْـحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**: تَنْزِيهٌ لِلَّه سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى عَنْ ظُلْمِ البَشَـرِ، وَأَضَافَ يُونُسُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- الظُّلْمَ إِلَى نَفْسِـهِ، لأَنَّهُ خَالَفَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَلَمْ يُدَاوِمْ عَلَى دَعْوَةِ قَوْمِهِ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِمْ.

٦- **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**: فَسَمِعْنَا دُعَاءَهُ، وَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ غَمٍّ.

٧- **وَكَذَلِكَ نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ**: وَكَذَلِكَ نُخَلِّصُ المؤْمِنِينَ مِمَّا يَكُونُونَ فِيهِ مِنْ هَمٍّ وَشِدَّةٍ.

لا يَزَالُ أَبُو أَيْمَنَ، ووَلَدَاهُ أَيْمنُ وأَشْرَفُ، فِى الْقَرْيَةِ، يَقْضُونَ مَا بَقِىَ مِنْ أَيَّامِ إِجَازَتِهِمْ بَيْنَ الأَهْلِ وَالأَحِبَّةِ وَالأَصْحَابِ، وَجَذَبَتْ أَحَادِيثُ أَبِى أَيْمَنَ أَسْمَاعَ جُلَسَائِه، إِذْ كَانَ يُلْقِى عَلَيْهِمْ مَوَاعِظَ وَقِصَصًا عَنِ الأَنْبِيَاءِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، لَمْ يَسْمَعُوا مِثْلَهَا مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، فَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَقْضِىَ مَعَهُمْ بَعْضَ الوَقْتِ فِى المَسْجِدِ الجَامِعِ بِالْقَرْيَةِ يَعِظُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ بِالْكَثِيرِ مِمَّا غَابَ عَنْهُمْ مِنْ أَخْبَارِ السَّابِقِينَ.

وَاسْتَجَابَ أَبُو أَيْمَنَ لِمَطْلَبِهِمْ وَهُوَ سَعِيدٌ، وَبَدَأَ جَلْسَتَهُ الأُولَى بَعْدَ صَلاةِ الْعَصْرِ، وَاحْتَشَدَ المصَلُّونَ اسْتِعْدَادًا لِلسَّمَاعِ، وَهُمْ مَسْرُورُونَ بِوُجُودِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ قَرْيَتِهِمْ بَيْنَهُمْ، يَعِظُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ، بِأُسْلُوبٍ سَهْلٍ وَمَعَانٍ وَاضِحَةٍ.

وَبَدَأَ أَبُو أَيْمَنَ حَدِيثَهُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّلاةِ وَالسَّلامِ عَلَى النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ قَالَ:



تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ سبْحَانَهُ وتَعَالَى بَعَثَ رُسُلَهُ وأَنْبِيَاءَهُ لإِبْلاغِ النَّاسِ، وَهِدَايَتِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الخَيْرِ وَالرَّشَادِ، وَاللَّهُ سبْحَانَهُ وتَعَالَى - كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ - لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ، لا يُعَذِّبُ قَوْمًا إلا إِذَا بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ المُسْتَقِيمِ، فَإِذَا اسْتَجَابُوا كَانَ خَيْرًا لَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ أَبَوْا إلا الْعِصْيَانَ وَالْكُفْرَ كَانَ الْعِقَابُ الأَلِيمُ، وَالْعَذَابُ الْعَظِيمُ هُوَ المَصِيرَ، وَبِئْسَ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُ الْكَافِرِينَ.

وَفِى حَدِيثِنَا هَذَا سَنَذْكُرُ قِصَّةَ وَاحِدٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ- عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- هُوَ يُونُسُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- وَذَلِكَ لِمَا فِى هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ مَوَاعِظَ يَنْبَغِى أَنْ يَتَأَمَّلَهَا الْبَشَرُ، وَخَاصَّةً الْعُلَمَاءَ وَالْوَاعِظِينَ، لِكَىْ لا يُسْرِعُوا إِلَى الْغَضَبِ إِنْ لَمْ يَجِدُوا ثَمَرَةً سَرِيعَةً لِدَعْوَتِهِمْ، وَلِيَبُثُّوا فِى قُلُوبِ النَّاسِ الأَمَلَ وَالإِيمَانَ بِأَنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَالْيُسْرِ بَعْدَ الْعُسْرِ، وَلِيُوقِنُوا بِأَنَّ اللَّهَ مُنْجِى المُؤْمِنِينَ.



لَقَدْ ذَكَـرَ اللَّهُ قِصَّـةَ يُونُسَ- عَلَيْهِ الـسَّلامُ- فِى أَكْثَـرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِى الْقُـرآنِ الْكَرِيمِ، وَجَاءَتِ الآيَاتُ (١٣٩-١٤٨) مِنْ سُورَةِ الصَّافَّات تَرْوِى الْقِصَّـةَ مُجْمَلَةً، فِى إِعْجَازٍ مُحْكَمٍ، وَبَلاغَةٍ لا يُمْكِنُ لِبَشَرٍ أَنْ يَأْتِى بِمِثْلِهَا، إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾** ﴾صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ [**الصافات**] .

وَاسْتَطْرَدَ أَبُو أَيْمَنَ قَائِلاً:

لَقَـدْ رَسَمَتْ هَذِهِ الآيَاتُ الخُطُوطَ الرَّئِيـسِيَّةَ لِقِـصَّةِ يُونُسَ- عَلَيْـهِ السَّلامُ- وَجَـاءَتِ الأَحَادِيثُ النَّبَـوِيَّةُ، وَأَقْوَالُ المفَسِّرِيـنَ وَالمؤَرِّخِينَ لِتَسْرِدَ لَنَا قِصَّـةَ هَذَا النَّبِىِّ الكَرِيمِ، وتَكْشِفَ النِّقَابَ عَنِ الْكَثِيرِ مِنْ تَفْصِيلاتِهَا.

عَاشَ يُونُـسُ- عَلَيْهِ السَّـلامُ- فِى إِحْدَى مُدُنِ الْـعِرَاقِ، هِىَ مَدِينَـةُ نِينَوَى، عَاصِـمَةُ إِمْبَرَاطُورِيَّـةِ الآشُورِيِّينَ، وَكَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ الْعَـالَمِ فِى ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَقَدْ جَـعَلَهَا المَلِكُ سِنْحَارِيبُ عَاصِـمَةً لِمَمْلَكَتِهِ، وَبَنَى مِنْ حَوْلِهَا سُورًا ضَـخْمًا لِحِمَايَتِهَـا، قَالَ المؤَرِّخُونَ: كَانَ عَرْضُ هَذَا السُّورِ ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ قَدَمًا، وَكَانَ ارْتِفَاعُهُ عَنْ سَطْحِ الأَرْضِ خَمْسَةً وَسِتِّينَ قَدَمًا.

وكَانَ فِى هذَا السُّورِ الضَّخْمِ أَبْرَاجٌ عَالِيَةٌ يُقِيمُ فِيهَــا الرُّمَاةُ بِالسِّهَامِ، وَفِيهِ خَمْسَ عَشْرَةَ بَوَّابَةً لِكُلِّ بوَّابَةٍ مِنْهَا اسْمٌ خَاصٌّ.

وَقَد اكْتَشَفَ الأَثَرِيُّونَ فِى عَصْرِنَا هذَا- وَفِى الخَمْسِينِيَّاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ الميلادِىِّ - الْكَثِيرَ مِنَ الآثَارِ الَّتِى تَدُلُّ عَلَى مَا كَانَ لِهَــذِه المدَينَةِ مِنْ مكَانَةٍ فِى عَصْرِهَا. فَقَدْ وَصَلَتْ فِى عَصْرِ الآشُورِيِّينَ إِلَى أَعْظَمِ مَا يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَيْهِ مِنَ الحَضَارَةِ وَالمدَنِيَّةِ فِى الْعَالَمِ الْقَدِيمِ.



وَكَانَ الآشُورِيُّونَ لا يُؤْمِنُون بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذْ كَانَ كُلُّ مَـلِك أَوْ إِمْبرَاطُـور مِنْهُمْ يَعْتَـبِرُ نَفْـسَهُ إِلهًـا، وَعَلَى أَفْـرَاد الشَّـعْبِ أَنْ يُقَـدِّمُـوا لَهُ آيَات الطَّاعَةِ وَالْوَلاءِ، وأَنْ يَخْتَصُّوهُ بِالْعِبَادَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



وكَانَ مِنْ حَوْلِ الملك بِطَانَةٌ مِنَ الكُهَّانِ يَمْتَصُّونَ دِمَاءَ الشَّعْبِ، وَيَسْتَوْلُونَ عَلَى قُوتِهِ، وَالمُلُوكُ يَسْتَعْبِدُونَ الشَّعْبَ وَيُسَخِّرُونَهُ فِى مُخْتَلِفِ الأَعْمَالِ مِثْلَ بِنَاءِ الْقُصُورِ وَالحصُونِ وَالأَسْوَارِ، وَالحرُوبِ المتَوَاصِلَةِ ضِدَّ الشُّعُوبِ الأُخْرَى. وَأَفْرَادُ الشَّعْبِ لا يَنَالُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إلا أَقَلَّ الْقَلِيلِ مِنَ الْقُوتِ الَّذِى لا يَكَادُ يَسُدُّ الرَّمَقَ، أَوْ يَدْفَعُ الجُوعَ.



وَيَقُولُ أَصْحَـابُ قِصَصِ الْقُرْآنِ: إِنَّ أَهْلَ نِينَوَى كَانُوا يَعْـبُدُونَ الأَصْنَامَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيَعِيـشُونَ بَيْنَ حَنَادِسِ الشِّـرْكِ وَالجَهْلِ، إِلَى أَنْ جَاءَهُمْ يُونُسُ- عَلَيْـهِ السَّلامُ- يُشْـعِلُ قَبَسَ الإِيمَانِ، وَيَحْمِلُ لَهُمْ مِصْـبَاحَ الهُدَى، وَيَرْفَعُ بَيْنَهُمْ عَلَمَ التَّوْحِيدِ، وَكَـمَا كَانَ كُلُّ نَبِىٍّ يَدْعُو قَوْمَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ: ﴿... **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ... ﴿٣٢﴾﴾ [**المؤمنون**]، كَذَلِكَ جَاءَ يُونُسُ- عَلَيْهِ السَّـلامُ- يُهِيبُ بِهَؤُلاءِ الجَاهِلِينَ، أَنْ يَرْبَئُوا بِعُقُـولِهِمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَأَنْ يُكَرِّمُوا جِـبَاهَهُمْ أَنْ تَسْـجُدَ لِهَذِهِ الأَوْثَانِ، وَيَتَـبَصَّرُوا بِأَنْفُـسِهِمْ، وَيُنْعِـمُوا النَّظَرَ فِيـمَا حَوْلَهُمْ، وَمَا يُحِيطُ بِهِمْ، وَإِذَا فَـعَلُوا ذَلِكَ فَسَيَجِدُونَ أَنَّ وَرَاءَ هَذَا الْكَوْنِ الْبَدِيعِ إِلهًـا كَبِيرًا، فَرْدًا صَمَدًا، جَدِيرًا بِأَنْ يَخُصُّوهُ بِالْعِبَـادَةِ، وَيَقْصِدُوهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّقْدِيسِ، إِذْ نَادَاهُمْ يُونُسُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِى هِدَايَةً لَكُمْ، وَرَحْمَةً بِكُمْ؛ لأَدُلَّكُمْ عَلَيْهِ، وَأُرْشِدَكُمْ إِلَيْهِ، إِذْ إِنَّ الجَهْلَ قَدِ الْتَفَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ فَلَمْ تَتَبَصَّرْ، وَغَشِىَ عَلَى بَصَائِرِكُمْ فَلَمْ تَتَدَبَّرْ.

إِنَّهَا رِسَالَةٌ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا؛ لِكَىْ تُحِقُّوا الحَقَّ وَتُبْطِلُوا الْبَاطِلَ، فَلا يَسْتَعْبِدِ الأَقْوِيَاءُ مِنْكُمُ الضُّعَفَاءَ وَالمُحْتَاجِينَ، فَـاقْتَنِعُوا بِوُجُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ - غَنِيًّا كَانَ أَمْ فَقِيرًا، أَمِيرًا كَانَ أَمْ حَقِيرًا - سَـوْفَ يُحَاسَبُ عَلَى أَعْمَالِهِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، فَهِىَ تُسَجَّلُ عَلَيْهِ لِيُحَاسَبَ بِمُقْتَـضَاهَا يَوْمَ الْقِيَامَـةِ، يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ فِى الْقُبُورِ، لِيَـتَحَدَّدَ مَصِيـرُ كُلِّ نَفْسٍ، إِمَّا إِلَى النَّعِيمِ المُقِيمِ، وَإِمَّا إِلَى الجَحِيمِ وَبِئْسَ المسْتَقَرّ.

إِنَّهُ مَـوْقِفٌ رَهِيبٌ، أَنْ يَأْتِىَ إِنْسَـانٌ مِـثْلَ يُونُسَ- عَلَيْـهِ السَّـلامُ- وَهُوَ أَعْـزَلُ إِلا مِنَ الإِيمَانِ، لِيَقِفَ فِى مُوَاجَهَةِ مَلِكٍ مَـغْرُورٍ، امْتَلأَ قَلْبُهُ بِالْغَطْرَسَةِ وَالْقَسْوَةِ، فَـحَسِبَ نَفْسَهُ إِلَهًا عَلَى النَّاسِ، وَأَمَـامَ شَعْبٍ جَاهِلٍ، يَتَّـخِذُ البَـشَرَ أَوِ الأَصْنَامَ آلِهَـةً يَعْبُدُهَا مِـنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ، وَالشُّعُوبُ عَلَى دِينِ مُلُوكِـهَا، وَلَقَدْ أَضَلَّ مَلِكُ الآشُورِيِّينَ شَعْبَهُ، فَـاخْتَارُوا الضَّلالَةَ عَلَى الْهُدَى، وَالْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ، وَاسْتَحبُّوا أَنْ يَعِيشُوا عَيْشَ الْبُلْهَاءِ، وَيَحْيَوْا حَيَاةَ الأَغْبِيَاءِ.

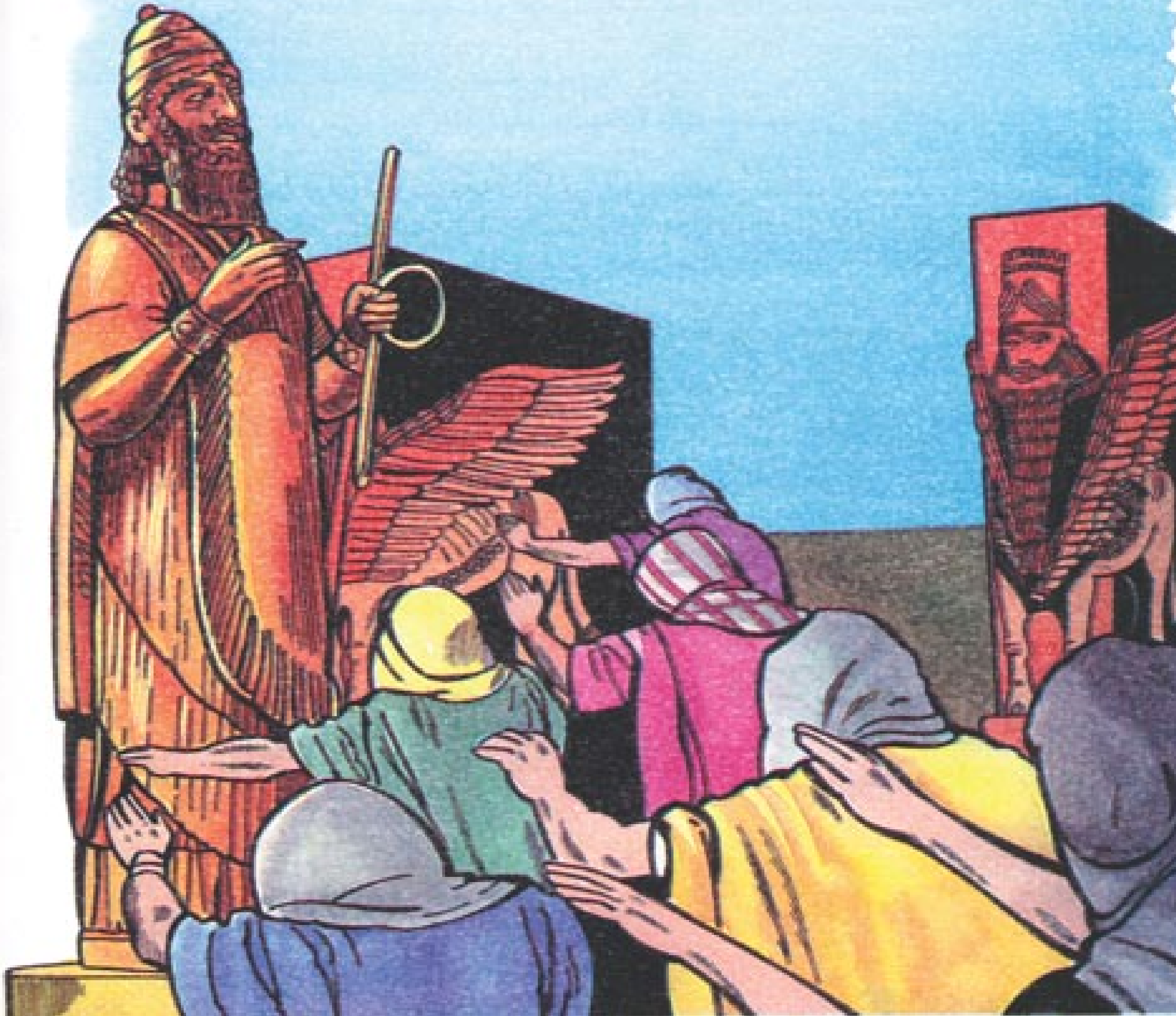
وَمِثْلَ كُلَّ الْبُلْهَاءِ وَالأَغْبِيَاءِ يُصَـابُ أَهْلُ نِينَوَى بِالدَّهْشَةِ عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ ذَلِكَ النِّدَاءَ مِنْ يُونُسَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- إِنَّهُ قَوْلٌ لَمْ يَأْلَفُوهُ، وَحَدِيـثٌ عَنْ إِلهٍ لَمْ يَعْرِفُوهُ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرَوْا وَاحِدًا مِنْهُمْ يَخْرُجُ مِمَّـا عَهِدُوهُ، وَرَجُلا مِنْ عَامَّتِهِمْ يُنَصِّبُ نَفْـسَهُ رَسُولاً إِلَيْهِمْ، وَهَادِيًا لَهُمْ وَيُحَدِّثُهُمْ عَنْ خَالِقٍ لَمْ يُفَكِّرُوا فِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَلَمْ تَأْتِهِمْ عَنْهُ أَخْبَارٌ.

قَالُوا: يَا يُونُسُ، مَـا هَذَا الْهَذَرُ وَالبُـهْتَانُ؟ إِنَّكَ تَدْعُـونَا إِلَى مَا يُدْهِشُ اللُّبَّ وَيُحَـيِّرُ الجَنَانَ، فَهَذِهِ آلِهَةٌ عَـبَدَهَا آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ، وَنَحْنُ نَعْبُدُهَا اليَـوْمَ، فَمَا الَّذِى حَدَثَ فِى الكَوْنِ، أَوَ ظَهَرَ مِنَ الأَحْـدَاثِ حَتَّى نَتْرُكَ هَذَا الدِّينَ الَّذِى نَعْـتَقِدُهُ، وَنَسْـتَرِيحَ إِلَى دِينٍ ابْتَدَعْـتَهُ أَنْتَ وَاخْتَرَعْتَهُ، وَجِئْتَ تَدْعُو إِلَيْهِ وَتُجَاهِدُ فِيهِ؟

قَالَ يُونُسَ- عَلَيْهِ السَّلامُ-: يَا قَوْمُ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِصَلاحِ أُمُورِكُمْ، وَاسْتِقَامَةِ أَحْوَالِكُمْ، وَتَقْوِيمِ جَـمَاعَتِـكُمْ، لَقَدْ جِئْـتُكُمْ بِدِينِ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الخَـيْرِ وَالمحـبَّةِ وَالْعَطْفِ، وَأَنْ تَقْدِرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، فَلا يَتَّخِذْ بَعْـضُكُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَعُودُوا إِلَى رُشْدِكُمْ، وَإِلَى فِطْرَتِكُمْ الَّتِى فَطَرَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا، فَـسَتَجِدُونَ الإِيمَانَ يَسْرِى إِلَى أَعْمَـاقِكُمْ، وَالتَّوَجُّهَ إِلَى اللَّهِ يَغْلِبُ عَلَى كُلِّ سُلُوكِيَّاتِكُمْ، إِذَا فَكَّرْتُمْ بِعَقْلٍ وَاعٍ، وَاتَّجَهْتُمْ إِلَى اللَّهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

وَاسْتَمَرَّ يُونُـسُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- يَدْعُو، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ إلا بِجَوَابِ الجَـهْلِ، وَسَفْسَطَةِ التَّعَنُّت، قَـالُوا - كَمَا قَـالَ كُلُّ الكَافِرِينَ قَبْلَهُـمْ - مَا أَنْتَ إلا بَشَرٌ مِـثْلُنَا، وَوَاحِدٌ مِنَّا، وَلا يُمْكِنُ لِنُفُـوسِنَا أَنْ تَسِيـرَ فِى هَدْيِكَ، أَوْ تُذْعِنَ لِدَعْـوَتِكَ، فَأَرِحْ نَفْـسَكَ وَاسْكُتْ عَنَّا؛ لأَنَّ الَّذِى تَرْجُوهُ مِنَّا إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ بَعِيدٌ، بَلْ هُوَ أَحَدُ المسْتَحِيلاتِ الَّتِى لَنْ تَحدُثَ عَلَى أَىِّ حَالٍ!!

قَالُوا: يَا يُونُسُ، نَصَحْـنَاكَ بِالسُّكُوتِ فَلَمْ تَسْكُتْ، فَلا ضَيْرَ، تَكَلَّمْ كَـمَا تَشَاءُ، وَقُلْ مَا تُرِيدُ، فَمَا نَحْنُ بِمُـسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِكَ، وَلا خَائِفِينَ مِنْ وَعِيـدِكَ، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.



وَلَكِنَّ نَبِيَّ اللَّـهِ يُونُسَ- عَلَيْـهِ السَّـلامُ- ضَـاقَ ذَرْعًـا بِأَهْلِ نِينَوَى؛ لأَنَّـهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَتِهِ، فَتَوَعَّدَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ، ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِهِ الْغَضَبُ عَلَيْهِمْ فَغَادَرَ المَدِينَةَ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ. لَقَدْ قَطَعَ الرَّجَـاءَ فِيهِمْ، وَمَدَّ الحَبْلَ لَهُمْ، فَـرَحَلَ عَنْهُمْ مُغَاضِبًـا، يَائِسًا مِنْ إِيمَانِهِمْ، نَافِضًا الكَفَّ مِنْهُمْ، لَقَدْ دَعَاهُمْ فَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَبَصَّرَهُمْ فَلَمْ يَتَدَبَّرُوا، وَجَادَلَهُمْ فَلَمْ يَسْتَمِعُوا، وَحَسِبَ أَنَّ الدَّعْوَةَ مَقْصُورَةٌ عَلَى مَا فَعَلَ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَكْفِى لإِبْلاغِهَا مَا كَانَ.



لَقَدْ غَضِبَ يُونُسُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- ولَكِنْ مِمَّنْ كَانَ هَذَا الْغَضَبُ، ولِمَاذَا؟

لَقَدْ دَارَ النِّقَاشُ بَيْنَ المفَسِّرِينَ حَوْلَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ غَضَبِ يُونُسَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- فِى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا ...** ﴿٨٧﴾ ﴾ [**الأنبياء**].

وَمِنَ المؤَكَّدِ أَنَّ النَّبِىَّ يُونُسَ لَمْ يَغْضَبْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّهُ تَرَكَ مَدِينَةَ نِينَوَى غَاضِبًا ؛ لأَنَّ مَلِكَهَا وَشَعْبَهَا لَمْ يُصَدِّقُوهُ، وَكَذَّبُوهُ فِى قَوْلِهِ أَنَّهُ نَبِىٌّ، وَرَفَضُوا أَنْ يُؤْمِنُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَبِقُدْرَتِهِ، وَبِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الموْتَى يَوْمَ الحِسَابِ.

إِنَّ رُسُلَ اللَّهِ وَأَنْبِيَاءَهُ يَتَلَقَّوْنَ الْوَحْىَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِذَلِكَ يَتحتَّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَلْتَزِمَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِتَوْجِيهَاتِهِ الَّتِى يَتَلَقَّاهَا عَنْ رَبِّهِ بِوَسَاطَةِ الْوَحْىِ. وَلَكِنَّ نَبِىَّ اللَّهِ يُونُسَ ضَاقَ ذَرْعًا بِأَهْلِ نِينَوَى لأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَتِهِ، فَتَوَعَّدَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ، ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِهِ الْغَضَبُ عَلَيْهِمْ، فَغَادَرَ مَدِينَةَ نِينَوَى قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ. وَلَعَلَّهُ لَوْ صَبَرَ عَلَى دَعْوَتِهِمْ أَيَّامًا أُخْرَى قَلِيلَةً لآتَتِ الدَّعْوَةُ ثَمَرَتَهَا، وَلَوَجَدَ فِى قَوْمِهِ مَنْ يُؤْمِنُ وَيَسْتَجِيبُ، وَيَسْتَغْفِرُ وَيُنِيبُ، وَلَكِنَّهُ تَعَجَّلَ وَرَحَلَ، لِيَلْقَى مِنَ اللَّهِ قَضَاءً، وَيَتَلَقَّى جَزَاءً.

إِنَّ الْقَوْمَ لا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهِ يُحيِى الموْتَى بَعْدَ أَنْ يَصِيرُوا رَمِيمًا، وَتَصِيرَ عِظَامُهُمْ رُفَاتًا، فَلْيَنظُرُوا مَاذَا سَيَكُونُ مِنْ أَمْرِ يُونُسَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- وَمَاذَا سَيَكُونُ مِنْ أَمْرِهِمْ هُمْ أَيْضًا، إِنَّهُمْ لَمْ يَكَدْ يَبْعُدُ عَنْهُمْ قَلِيلاً حَتَّى وَافَتْهُمْ نُذُرُ الْعَذَابِ، وَطَلائِعُ الهَلاكِ، وَكَمَا

حدَثَ مَعَ الكفَـرَةِ السَّابِقِينَ يَحْـدُثُ الآنَ مَعَهُمْ، لَقَـدِ اغْبَرَّ الجـوُّ حوْلَهُمْ، ثُمَّ تَغَـيَّرَتْ أَلْوَانُهُمْ، وَتَشَوَّهَتْ وُجُـوهُهُمْ، فَدَاخَلَهُمُ الْقَلَقُ، وَسَاوَرَهُمُ الخَوْفُ، وَعَـلِمُوا أَنَّ دَعْوَةَ يُونُسَ حَقٌّ، وَأَنَّ إِنْذَارَهُ صِدْقٌ، وَأَنَّ الْعَـذَابَ وَاقِعٌ بِهِمْ لا مَحَالَةَ، وَأَنَّهُ سَـيُصِيبُـهُمْ مَا كَانُوا قَدْ سَمِعُوا عَنْ قَوْمِ لُوطٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ.

وَغَادَرَ يُونُسُ المدِينَـةَ غَاضِبًـا قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِهَا الْعَـذَابُ، وَيَقَعَ عَلَيْهَـا غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ لِلَّهِ فِى خَلْـقِهِ شُئُونٌ، فَـبَعْدَ رَحِيلِ يُونُسَ مِنْ نِيـنَوَى أَلْقَى اللَّهُ التَّوْبَةَ فِى قُلُوبِ الْقَوْمِ، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَكَانُوا يَتَذَاكَرُونَ مَا سَمِعُوهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ مَوَاعِظِ النَّبِىِّ يُونُسَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- وَنَدِمُوا عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ- رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ-: إِنَّ أَهْلَ نِينَوَى فِى تَوْبَتِهِمْ هَذِهِ لَبِسُوا المسُوحَ - أَىِ الثِّيَـابَ الخُشِنَةَ - وَفَرَّقُوا بَيْنَ كُلِّ بَـهِيمَةٍ وَوَلَدِهَا، ثُمَّ عَجُّـوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالدُّعَاءِ، وَصَرَخُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ، وَتَمَسْكَنُوا لَدَيْهِ، وَبَكَى الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْبَنُونَ وَالْبَنَاتُ وَالأُمَّهَاتُ، وَجَأَرَتِ الأَنْعَامُ وَالدَّوَابُّ وَالمواشِى، وَكَانَتْ سَاعَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً.

وَكَانَتْ سَاعَةً بَسَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَهَا جَنَاحَ رَحْمَـتِهِ، وَرَفَعَ عَنْهُمْ سَحَائِبَ نِقْمَتِهِ، وَتَقَبَّلَ مِنْهُمُ التَّـوْبَةَ وَالإِنَابَةَ، إِذْ كَانُوا مُخْلِصِينَ فِى تَوْبَتِـهِمْ، صَادِقِينَ فِى إِيمَانِهِمْ، وَرَدَّ اللَّهُ عَنْهُمُ العِقَـابَ، وَحَبَسَ عَنْهُمُ الْعَذَابَ، وَرَجَعُوا إِلَى بُيُـوتِهِمْ آمِنِينَ مُؤْمِنِينَ، وَتَمَنَّوْا لَوْعَادَ إِلَيْهِمْ يُونُسُ لِيَعِيشَ بَيْنَهُمْ رَسُولا وَنَبِيًّا، وَمُعَلِّمًا وَإِمَامًا.

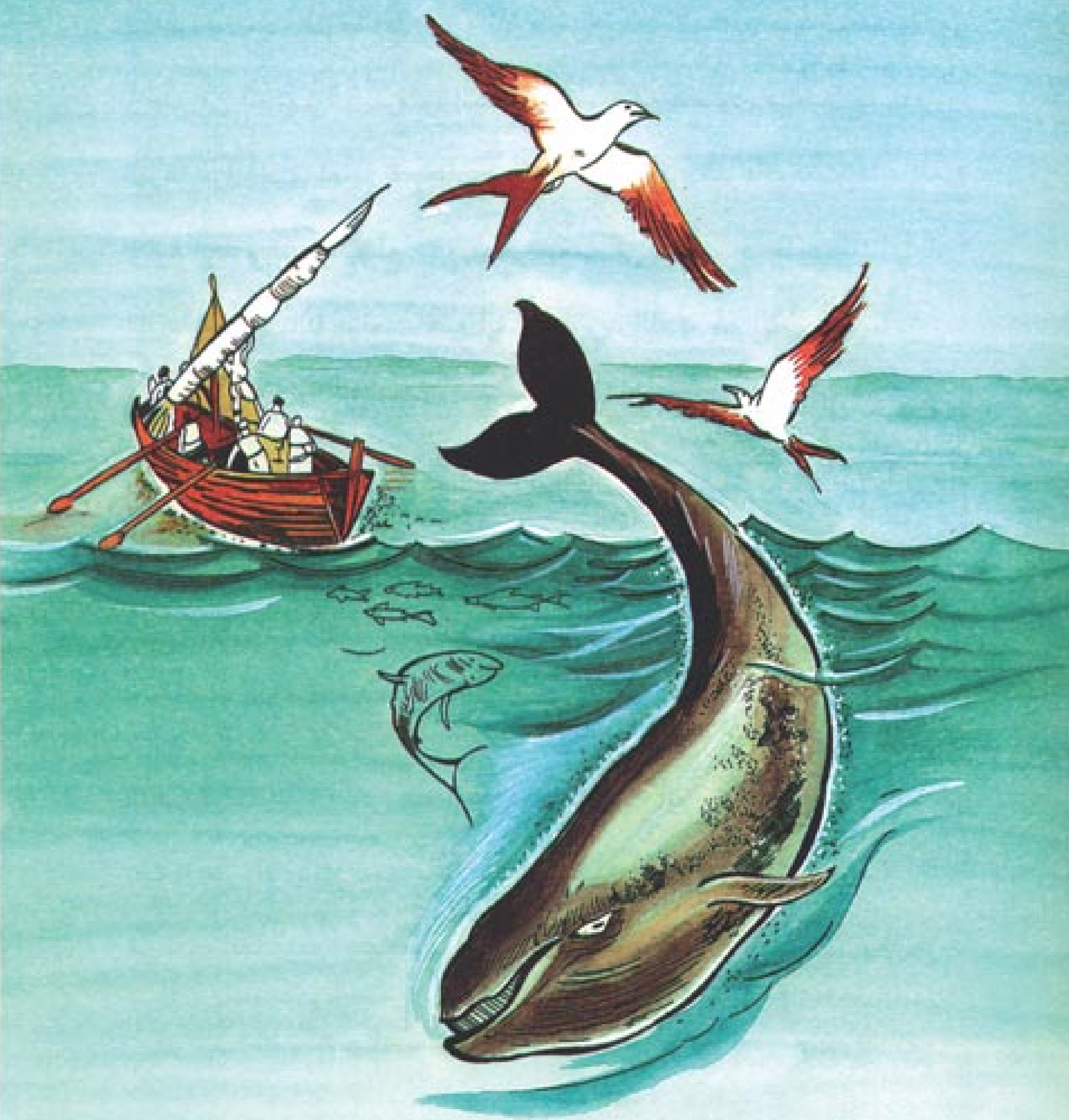
وَيَقُولُ بَعْضُ المفَسِّرِينَ وَالمؤَرِّخِينَ: إِنَّ مَدِينَةَ نِينَوَى هِيَ الْقَـرْيَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِى كَفرَتْ ثُمَّ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِهَا بِالإِيمَانِ، وَأَلْهَمَهُمْ وُجُوبَ التَّوْبَةِ لِيُنْقِذَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

وَالمفَسِّرُونَ يَعْتَمِدُونَ فِى ذَلِكَ الرَّأْىِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ** ﴿٣٤﴾ ﴾ [**سبأ**]، ثُمَّ اسْتَثْنَى اللَّهُ مَدِينَـةَ نِينَوَى بِقَوْلِهِ تَبَـارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ ... **إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ** ﴿٩٨﴾ ﴾ [**يونس**].

قَالَ وَاحِـدٌ مِنَ المسْتَمِعِـينَ: هَـذَا مَا كَانَ مِنْ أَهْلِ نِينَـوَى، فَـأَيْنَ ذَهَبَ يُونُــسُ -عَلَيْهِ السَّلامُ- وَمَاذَا حَدَثَ لَهُ؟

قَالَ أَبُو أَيْمَنَ: لَقَدْ تَرَكَ يُونُسُ مَدِينَةَ نِينَوَى، وَرَاحَ يَضْرِبُ فِى أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَهُنَاكَ وَجَدَ جَمَاعَـةً يُرِيدُونَ أَنْ يَعْبُرُوا، فَطَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَصْطَحِبُوهُ مَعَهُمْ فِى سَفِـينَتِهِمْ، فَقَبِلُوهُ عَلَى ارْتِيَاحٍ مِنْهُمْ، وَأَنْزَلُوهُ بَيْنَهُمْ مَنْزِلا كَـرِيمًا، إِذْ كَانَ يَظْهَرُ فِى وَجْهِهِ الْكَرَمُ وَالسَّمَاحَةُ، وَتَتَحَدَّثُ غُرَّتُهُ عَنْ تَقْوَى وَصَلاحٍ.

وَسَارَتْ بِهِمُ السَّفِـينَةُ فِى رِيحٍ رُخَاءٍ فَتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ حَتَّى جَاوَزُوا الشَّـاطِئَ وَأَصْبَحَتِ السَّفِـينَةُ فِى عُرْضِ الْبَـحْرِ، وَفَـجْأَةً هَاجَتِ الرِّيحُ، وَارْتَفَـعَتِ الأَمْوَاجُ وَعَـوتِ الأَعَاصِـيرُ، وَاضْطَرَبَتِ السَّفِـينَةُ وَثَقُلَتْ بِمَنْ فِيـهَا وَكَادُوا يَغْـرَقُونَ، وَتَوَقَّعَ الرَّاكِـبُونَ سُوءَ المصِـيرِ، وَلَمْ يَجِدُوا طَرِيقًا لِنَجَاتِهِمْ إِلا أَنْ يَتَخَفَّفُوا، فَشَاوَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مَاذَا يَصْنَعُونَ؟.



ثُمَّ اسْتَقَـرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى الاقْتِرَاعِ فِيمَـا بَيْنَهُمْ فَمَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْقُـرعَةُ أَلْقَوْا بِهِ فِى الْبَحْـرِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ ضَيْرٌ إِذَا مَـاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَنَجَـا البَاقُونَ. فَلَمَّـا اقْتَرَعُـوا وَقَعَتِ الْقُرعَـةُ عَلَى نَبِىِّ اللَّهِ يُونُسَ- عَلَيهِ الـسَّلامُ- فَلَمْ يَسْمَـحُوا بِهِ، وَعَظُمَ فِى أَنْفُـسِهِمْ أَنْ يُغْرِقُوا إِنْسَانًا يَتَوَسَّمُونَ فِيهِ التَّقْوَى وَالصَّلاحَ، فَأَعَادُوا الْقُرْعَةَ مَرَّةً أُخْرَى لَعَلَّهَا تَقَعُ عَلَى إِنْسَانٍ غَيْـرِهِ، وَلَكِنَّ الْقُرْعَةَ وَقَعَتْ عَلَيْهِ لِلمَرَّةِ الثَّـانِيَةِ أَيْضًا، فَشَمَّـرَ لِيَخْلَعَ ثِيَابَهُ وَيُلْقِىَ بِنَفْسِهِ فِى الْبَحْرِ، فَرَفَضُوا ذَلِكَ وَأَعَادُوا القُـرْعَةَ لِلمَرَّةِ الثَّالِثَةِ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا لِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الأَمْرِ الْعَظِيمِ.

ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَالْقُرْعَـةُ تَقَعُ عَلَيْهِ، فَعَلِمَ يُونُسُ أَنَّ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ سِرًّا، وَأَنَّ لِلَّهِ فِى ذَلِكَ تَدْبِيرًا، وَأَدْرَكَ خَطِيئَتَهُ وَمَا كَانَ مِنْ تَرْكِـهِ لِقَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ فِى الْهِجْرَةِ، أَوْ يَسْتَخِيـرَ اللَّهَ فِى الرَّحِيلِ، فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِى الْبَحْرِ، وَأَسْلَمَ جَـسَدَهُ لِلأَمْوَاجِ، يَتَقَلَّبُ بَيْنَ طَيَّاتِهَا، وَيَتَخَبَّطُ فِى ظُلُمَاتِهَا.

وَجَاءَ وَاحِدٌ مِنْ حِيتَانِ الْبَـحْرِ فَاغِرًا فَاهُ، مُسْتَقْبِلا تِلْكَ الْوَجْـبَةَ الشَّهِيَّةَ مِنَ اللَّحْمِ الْبَشَرِىِّ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى الحُوتِ أَنْ يَبْتَلِعَ يُونُسَ وَيَطْوِيَهُ فِى بَطْنِهِ، عَلَى أَلا يَأْكُلَ لَحْمَهُ، وَلا يَهْشِمَ عَظْمَهُ، فَمَا هُوَ إِلا نَبِىٌّ كَرِيمٌ، اجْتَهَدَ فِى أَمْرٍ، فَلَمْ يُؤَدِّهِ اجْتِهَادُهُ إِلَى الصَّـوَابِ، وَعَجِلَ فِى أَمْـرِهِ ثُمَّ نَدِمَ، وَهَا هُوَ ذَا الآنَ وَدِيعَـةٌ فِى بَطْنِ الحُوتِ يُؤَدِّيهَـا عِنْدَمَا يَأْذَنُ اللَّهُ.

قَالَ المفَسرُونَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجلَّ أَمرَ الحُوتَ أَلا يأْكُلَ يُونُس؛ لأَنَّهُ سبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يُبْقِيَ يُونُسَ سَلِيمًا فِي بَطْنِ الحُوتِ، حَيًّا بِمُعْجِزَةٍ إِلهِيَّةٍ، تَخْلُدُ ذِكْرَاهَا مَعَ الزَّمَانِ، وَتَبْقَى قِصَّةً خَالِدَةً عَلَى مَرِّ العُصُورِ، دَلالَةً عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَتَرْغِيبًا فِي الصَّبْرِ عَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَلا ييْأَسَ الدَّاعُونَ إِلَى اللَّهِ مَهْمَا كَانَ نُكْرَانُ وَعِنَادُ المدْعُوِّينَ.

وَقَالُوا: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ يُونُسَ حِينَ اسْتَقَرَّ فِي بَطْنِ الحُوتِ حَسِبَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَحَرَّكَ جَوَارِحَهُ فَتَحَرَّكَتْ، فَإِذَا هُوَ حَيٌّ، فَخَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا وَقَالَ: يَا رَبِّي لَقَدِ اتَّخَذْتُ لَكَ مَسْجِدًا لَمْ يَسْجُدْ لَكَ أَحَدٌ فِي مِثْلِهِ.

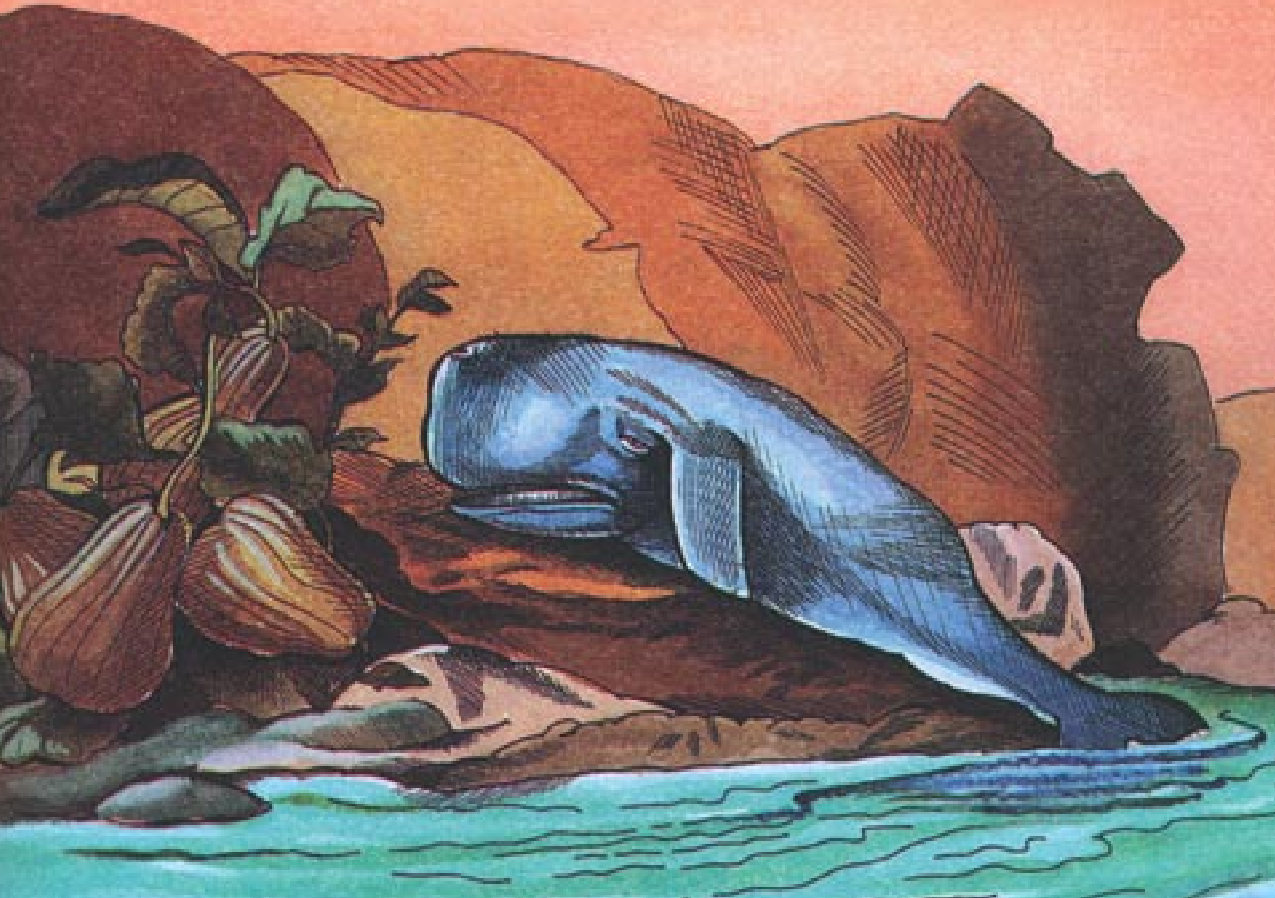
وَقَبَعَ يُونُسُ فِي بَطْنِ الحُوتِ، وَالحُوتُ يَشُقُّ الأَمْوَاجَ، وَيَغُوصُ فِي الأَعْمَاقِ السَّحِيقَةِ، وَفِي هَذَا الْكَرْبِ الْعَظِيمِ، يَعُودُ يُونُسُ إِلَى مَوْلاهُ الْكَرِيمِ، يَسْتَغْفِرُهُ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُفَرِّجَ هَمَّهُ، وَيَكْشِفَ كَرْبَهُ، وَيَجْعَلَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الضَّائِقَةِ مَخْرَجًا، إِنَّهُ يَقْبَعُ فِي ظُلُمَاتٍ مُتَكَاثِفَةٍ، ظُلمَةُ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ بَطْنِ الحُوتِ ﴿... **فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴿٨٧﴾﴾ [**الأنبياء**].

وَتَأَمَّلُوا رَحْمَةَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ المخْلِصِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ رَغْبَةً فِي رَحْمَتِهِ، وَرَهْبَةً مِنْ عَذَابِهِ، إِذْ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ** ﴿١٤٣﴾ **لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴿١٤٤﴾﴾ [**الصافات**]، أَيْ لَوْلا أَنَّ يُونُسَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- سَبَّحَ اللَّهَ تَعَالَى، وَقَالَ مَا قَالَ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وَالإِقْرَارِ بِأَنَّهُ قَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِهُرُوبِهِ مِنَ الدَّوَامِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلا تَوْبَتُهُ وَرُجُوعُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَلَبِثَ فِي بَطْنِ الحُوتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَاسْتَطْرَدَ أَبُو أَيْمَنَ قَـائلاً: ثُمَّ تَأَمَّلُوا مَا يَرْوِيه أَبُو هُرَيْرَةَ- رَضِــىَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ سُـبْحَانَهُ وتَعَالَى حَبْسَ يُونُسَ فِى جَـوْفَ الحُوتِ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الحُوتِ أَنْ خُذْهُ، وَلا تَخْدِشْ لحُمًا وَلا تَكْسِرْ عَظْمًا.

فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِ البَـحْرِ سَمِعَ يُونُسُ حسا، فَقَالَ فِى نَفْـسه: مَا هَذَا؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْـهِ وَهُوَ فِى بَطْنِ الحُـوتِ أَنَّ هَذَا تَسْبِـيحُ دوَابِّ البَـحْرِ، فَـسَـبَّحَ يُونُسُ وَهُوَ فِى بَطْنِ الحُوت، فَسَمِعَت المَـلائكَةُ تَسْبِيحَهُ، فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا، إِنَّا نَسْمَعُ صَـوْتًا فِى أَرْضٍ غَرِيبَة، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ذَلِكَ عَبْدِى يُونُسُ، عَصَانِى فَحَبَسْتُهُ فِى بَطْنِ الحُوت فِى البَحْرِ. وَقَالَت المَلائكَةُ: الْعَبْدُ الصَّـالِحُ الَّذِى كَانَ يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَة عَـمَلٌ صَالِحٌ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: نَعَمْ . . فَشَفَعَتِ المَلائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ لِيُونُسَ فَأَمَرَ اللَّهُ الحُوتَ فَقَذَفَهُ إِلَى السَّاحِلِ.

اسْتَجَابَ اللَّهُ الدُّعَـاءَ، وَأَوْحَى إِلَى الحُوتِ فِى المَاءِ، أَنْ أَلْقِ بِضَـيْفِكَ فِى العَرَاءِ، فَقَدْ أَوْفَى عَلَى الْغَايَةِ، وَنَالَ مَا قُدِّرَ لَهُ مِنْ جَزَاءٍ.



فَأَلْقَاهُ الحُوتُ إِلَى الشَّاطِئِ سَقِيمًا هزيلا، وأَدْركَـتْهُ رَحْمَةُ ربِّهِ، فَأَنْبَتَتْ عَلَيْهِ شَجرةً مِنْ يَقْطِينٍ، وَهُوَ نَبَاتٌ لا سَاقَ لَهُ يُقَـالُ أَنَّهَا شَجَرَةُ الْقَرْعِ، فكَانَ يَأْكُلُ ثمرهَا ويَسْـتظِلُّ بِورَقِهَا، إِلَى أَنْ دبَّتِ الْعَافِيةُ فِي جِسْمِهِ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ تَبَاشِيرُ الحَيَاة.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَـالَى وَاصِفًا يُونُسَ عِنْدَمَا خَـرَجَ مِنْ بَطْنِ الحُوتِ: ﴿**فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ** ﴿١٤٥﴾ **وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ** ﴿١٤٦﴾﴾ [**الصافات**] وَالمقْصُودُ بِالعرَاءِ هُوَ المكَانُ المقْفِرُ الجـدِيبُ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي لا تُوجَدُ بِهَا أَشْجَـارٌ وَلا نَبَاتَاتٌ أُخْرَى، وكَأَنَّ اللَّهَ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ قُـدرتَهُ وَإِعْجَازَهُ بِإِنْبَاتِ شَجَرَةِ الْيَقْطِينِ فِي ذَلِـكَ الْعَرَاءِ الَّذِي لَمْ يَعْهَدْ فِيهِ أَحَدٌ أَنْ يَرَى أَشْجَارًا وَلا نَبَاتَاتٍ، وكَـانَ يُونُسُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- قَدْ خَرَجَ إِلَى ذَلِكَ الْعَرَاءِ - كَمَا يَقُولُ العُلَمَاءُ - ضَعِيفًا مُـتخَاذِلا كَالطِّفْلِ لحْظَةَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وكَأَنَّهُ يُولَدُ مِنْ جَدِيدٍ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُـلَمَاءِ: إِنَّ فِي إِنْبَاتِ شَـجَرَةِ الْيَـقْطِينِ عَلَى يُونُسَ حِكْمَةً عَظِيـمَةً؛ لأَنَّ ورَقَ شَجَرَةِ الْيَقْطِينِ فِي غَايَةِ النُّعُومَـةِ، وَهُوَ كَثِيرٌ وَظَلِيلٌ، وَالذُّبَابُ لا يَحُطُّ عَلَيْهِ أَبَدًا، وَمِنَ الممْكِنِ أَنْ يُؤْكَلَ ثَمَرُهُ مِـنْ أَوَّلِ طُلُوعِهِ إِلَى آخِرِهِ نَيِّـئًا أَوْ مَطْبُوخًا، وَبِقِـشْرِهِ وَبِذْرِهِ، وَمُفِـيدٌ لِلشِّفَاءِ مِنَ الصُّدَاعِ، وَلِصَفَاءِ الذِّهْنِ.

يُقَالُ أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَرِحَ كَثِيرًا بِشَجَرَةِ اليَقْطِينِ الَّتِي أَنْبَتَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ لِتَقِيَهُ حَرارَةَ الشَّمْسِ، وَجَـاءَتِ الدِّيدَانُ فَأَكَلَتِ الشَّـجَرَةَ لَيْلاً، فَـأَحَسَّ يُونُسُ بِلَهِيبِ الشَّـمْسِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، وآذَتْهُ الشَّمْسُ كَثِيرًا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، خَيْرٌ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ أَنْ أَحْيَا، فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: لَقَدْ اشْـتَدَّ جَزَعُكَ عَلَى الشَّجَـرَةِ الَّتِي لَمْ تَخْلُقْهَا أَنْتَ، فَكَـيْفَ تَسْتَعْجِلُ العَـذَابَ لِقَوْمِكَ، وَتَطْلُبُ مِنِّي إِهْلاكَهُمْ، وَتَسْتَكْثِرُ عَلَيَّ أَنْ أُشْفِقَ عَلَى عِبَادِي فِي مَدِينَةِ نِينَوَى؟.

وَلَمَّا صَارَ يُونُسُ فِى عَافِيَةٍ، وَعَادَ إِلَى سَابِقِ عَهْدِهِ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنِ ارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، وَمَوْطِنِ أُسْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ فَـإِنَّهُمْ آمَنُوا فَنَفَعَهُمُ الإِيمَانُ، وَنَبَذُوا الأَصْنَامَ وَالأَوْثَانَ، وَهُمُ الآنَ يَبْحَثُونَ عَنْكَ، وَيَتَرَقَّبُونَ رُجُوعَكَ إِلَيْهِمْ.

وَعَادَ يُـونُسُ إِلَى قَرْيَتِـهِ، فَوَجَـدَ الْقَوْمَ الَّذِينَ تَرَكَـهُمْ وَهُمْ عَاكِـفُونَ عَلَى أَصْنَامِـهِمْ عَابِدِينَ، قَدْ حَوَّلَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ إِلَى الإِيمَانِ، وَمَا فِيـهِمْ إِلا قُلُوبٌ خَاشِعَةٌ، وَأَلْسِنَةٌ تَلْهَجُ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ.

وَبَقِـيَتْ قِصَّـةُ يُونُسَ- عَلَيْـهِ السَّلامُ- مُنْذُ آلافِ السِّنِـينَ، دَلِيلاً عَلَى إِعْـجَازِ الْقُـدرَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَإِلْهَامًا لِكُلِّ ذِى دَعْوَةٍ صَالِحَةٍ أَنْ يَسْتَمِرَّ فِى دَعْوَتِهِ، وَمَهْمَا كَانَتِ المَتَاعِبُ فِى طَرِيقِ الدَّعْوَةِ فَيَنْبَغِى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهَا عَلَيْهَا مِنَ الصَّابِرِينَ.

وَخَتَمَ أَبُو أَيْمَنَ حَـدِيثَهُ قَائِلاً: فَـلْنَقْرَأِ الآيَاتِ وَنَتَدَبَّرْهَا، وَنَسْـتَعِدْ مَـعَهَا قِـصَّةَ يُونُسَ لِتَكُونَ عِظَةً وَعِبْرَةً لِلمُعْتَبِرِينَ.

وَإِلَى اللِّقَاءِ فِى القِصَّةِ التَّالِيَةِ رقم (٩٠)

وَعُنْوَانُهَا: (سُلَيْمَانُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- وَمَلِكَةُ سَبَأ)

الأَسْئِلَةُ

١- أَيْنَ نَشَأَ يُونُسُ- عَلَيْهِ السَّلامُ-؟ وَمَا اسْمُ عَاصِمَةِ بِلادِهِ فِي ذَلِكَ الحِينِ؟ وَهَلْ قَرَأْتَ شَيْئًا عَنْ يُونُسَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- وَمَدِينَتِهِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ؟

٢- مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ حَضَارَةِ آشُورَ، وَمَنْ أَشْهَرُ مُلُوكِهِمْ، وَمَاذَا كَانُوا يَعْبُدُونَ؟

٣- فَرَّ يُونُسُ -عَلَيْهِ السَّلامُ- غَاضِبًا، مِمَّ كَانَ غَضَبُهُ؟ وَكَيْفَ كَانَ جَزَاؤُهُ؟

٤- دَعَا يُونُسُ رَبَّهُ وَهُوَ فِي الظُّلُمَاتِ، مَاذَا قَالَ؟ وَمَا تِلْكَ الظُّلُمَاتُ الَّتِي عَاشَ فِيهَا يُونُسُ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ؟

٥- لِمَاذَا لَمْ يَأْكُلِ الحُوتُ نَبِيَّ اللَّهِ يُونُسَ؟ وَلَمْ يَجْرَحْ لَهُ لَحْمًا، وَلَمْ يَهْشِمْ لَهُ عَظْمًا؟ وَمَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ **لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴿١٤٤﴾ ﴾ [**الصافات**]؟

٦- لِمَاذَا أَخْرَجَ اللَّهُ يُونُسَ إِلَى العَرَاءِ وَلَمْ يُخْرِجْهُ إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ زُرُوعٍ وَأَشْجَارٍ، وَكَيْفَ كَانَ حَالُ يُونُسَ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الشَّاطِئِ؟

٧- مَا هِيَ شَجَرَةُ اليَقْطِينِ؟ وَكَيْفَ وَصَفَهَا العُلَمَاءُ، وَهَلْ تَعْرِفُ لِثَمَرَتِهَا فَائِدَةً ذَكَرَهَا العُلَمَاءُ؟

٨- مَاذَا كَانَ شَأْنُ قَوْمِ يُونُسَ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟ وَعَلَى أَيِّ حَالٍ وَجَدَهُمْ بَعْدَ عَوْدَتِهِ إِلَيْهِمْ؟

٩- اكْتُبْ بِضْعَةَ أَسْطُرٍ تَذْكُرُ فِيهَا العِبْرَةَ مِنْ قِصَّةِ يُونُسَ- عَلَيْهِ السَّلامُ-.

دَرْسُ النَّحْوِ

الاسْتِثْنَاءُ

الاسْتِثْنَاءُ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ هُوَ إِخْرَاجُ كَلِمَــةٍ مِنْ حُكْمِ الْكَلامِ المذْكُورِ قَبْلَهَا، تَقُولُ: نَجَحَ التَّلاميذُ إِلا وَاحِدًا. فَلَفْظُ (وَاحِدًا) مَنْصُوبٌ بِالاسْتِثْنَاءِ، وَقَدْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ لَفْظِ (التَّلامِيذُ) لأنَّ التَّلامِيذَ نَجَحُوا وَهَذَا الْوَاحِدُ لَمْ يَنْجَحْ.

وَأَدَوَاتُ الاسْتِثْنَاءِ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ عَلَى ثَلاثَةِ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الأَوَّلُ: مَا يَكُونُ حَرْفًا دَائِمًا وَهُوَ: إِلا.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: مَا يَكُونُ اسْمًا دَائِمًــا وَهُوَ: سِوَى (بكسر السين) وَسُوَى (بِضم السِّين) وَسَوَاءٌ، وَغَيْرٌ.

وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ: يَكُونُ حَرْفًا حِينًــا، وَيَكُونُ فِعْلاً حِينًا آخَرَ، وَهِيَ ثَلاثُ أَدَوَاتٍ، هِيَ: خَلا، وَعَدَا، وَحَاشَا.

وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الأَنْوَاعِ حُكْمٌ إِعْرَابِيٌّ سَــوْفَ نَشْرَحُهُ تِبَاعًا فِــي دُرُوسِنَا الْقَادِمَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١- الفاتحة أم الكتاب
٢- خليفة الله
٣- يا بنى إسرائيل
٤- بقرة بنى إسرائيل
٥- هاروت وماروت
٦- بيت الله
٧- قبلة المسلمين
٨- وقاتلوا فى سبيل الله
٩- طالوت وجالوت
١٠- قدرة الله
١١- امرأة عمران
١٢- وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣- ابنة عمران
١٤- عيسى فى السماء
١٥- نصر الله
١٦- اختبار الله
١٧- حياة الشهداء
١٨- صلاة الحرب
١٩- الأرض المقدسة
٢٠- قابيل وهابيل
٢١- مائدة من السماء
٢٢- هل يستوى الأعمى والبصير
٢٣- إبراهيم يبحث عن الله
٢٤- بنو آدم والشيطان
٢٥- أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦- نوح عليه السلام وقومه
٢٧- هود عليه السلام وقومه
٢٨- صالح عليه السلام وقومه
٢٩- لوط عليه السلام وقومه
٣٠- شعيب عليه السلام وقومه
٣١- موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢- قوم موسى وقوم فرعون
٣٣- موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤- بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥- سفهاء بنى إسرائيل
٣٦- موسى عليه السلام والأسباط
٣٧- ضحية الشيطان
٣٨- دفاع عن الرسول
٣٩- وعد الله
٤٠- توزيع الغنائم
٤١- قوة الصابرين
٤٢- أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣- يوم الحج الأكبر.
٤٤- يوم حنين.
٤٥- عزير آية الله للناس.
٤٦- الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧- وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨- لا تحزن إن الله معنا.
٤٩- المنافقون فى المدينة.
٥٠- خذ من أموالهم صدقة.
٥١- مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢- المسلمون فى ساعة العسرة.
٥٣- الثلاثة الذين خُلِّفوا.
٥٤- والله يعصمك من الناس.
٥٥- القرآن يتحدى.
٥٦- وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر.
٥٧- يا بنى اركب معنا.
٥٨- يوسف عليه السلام فى غيابة الجب.
٥٩- يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
٦٠- سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١- لقاء الأحبة.
٦٢- ثم استوى على العرش.
٦٣- حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤- زمزم نبع الأنبياء.
٦٥- مقام إبراهيم مصلًّى.
٦٦- ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧- أصحاب الأيكة.
٦٨- فاصدع بما تؤمر.
٦٩- ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠- وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١- رياحون البيوت شقائق الرجال.
٧٢- التى نقضت غزلها.
٧٣- سبحان الذى أسرى بعبده.
٧٤- فتية آمنوا بربهم.
٧٥- صاحب الجنتين.
٧٦- موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧- ذو القرنين.
٧٨- يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩- واذكر فى الكتاب مريم.
٨٠- ذلك عيسى ابن مريم.
٨١- واذكر فى الكتاب إسماعيل.
٨٢- واذكر فى الكتاب إدريس.
٨٣- وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤- الوادى المقدس طوى.
٨٥- وجعلنا من الماء كل شيء حى.
٨٦- النار بردا وسلاما.
٨٧- حكمة سليمان عليه السلام
٨٨- وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩- يونس عليه السلام فى بطن الحوت.
٩٠- سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١- موسى عليه السلام القوى الأمين.
٩٢- قارون وعاقبة المفسدين
٩٣- زيد... هو ابن حارثة.
٩٤- الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥- جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦- وفديناه بذبح عظيم.
٩٧- بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨- جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩- أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠- للبيت رب يحميه.

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث